(غير المسلمين في المجتمع المسلم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة:82-83]

قال سعيد بن جُبَير رحمه الله: نزَلَت في وَفْدٍ بَعَثَهم النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسمعوا كلامَه، ويرَوا صفاتِه، فلما قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن أسلَموا وبَكَوا وخَشَعوا، ثم رجعوا إلى النَّجاشي فأخبروه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، إنه ليس بيني وبينه نبي**» [أخرجه البخاري].

وعَنْ عُبَادَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا**

إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»

[أخرجه البخاري]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأنبياءِ من قبلي، كمثل رجلٍ بنى بُنْيَاناً فَأَحْسَنَه وأَجْمَلَه، إِلاَّ موضعَ لَبِنَة من زاوية من زواياه، فجَعَل الناسُ يطوفون به، ويَعْجَبون له، ويقولون: هلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ؟ قال: فأنا اللَّبِنَةُ، وأَنا خَاتَمُ النَّبِيِّين»** [أخرجه البخاري ومسلم].

عنوان خطبة اليوم:

(المواطنون غيرُ المسلمين في المجتمع المسلم)

بَعَث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عُمَيراً عاملاً على حمص، فمَكَثَ حولاً لا يأتيه خَبرُه، ولم يبعث له شيئاً لبيت مال المسلمين، فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عُمَير، فوالله ما أراه إلاَّ قد خاننا: (إذا جاءك كتابي هذا فأَقبِل وأَقبِل بما جَبَيتَ مِن فيء المسلمين).

فأخذَ عميرُ –لما وصَلَه كتاب عمر– جُرابَه فوضَع فيه زادَه وقَصعتَه، وعلَّق إداوته[1]، وأخَذ عنزته[2]، ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة فقَدِمَ وقد شحَب لونُه واغبرَّ وجهُه، فدخَل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله.

قال عمر: ما شأنُك؟ قال: أما تراني صحيح البدن، معي الدنيا أجرها بقرونها؟

قال عمر: وما معك؟ وظنَّ عمر أنه جاءه بمال.

قال: معي جرابي أجعلُ فيه زادي، وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي، وثيابي، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشَرابي، ومعي عنزتي أتوكَّأ عليها وأجاهد بها عدوًّا إن عرض لي، فوالله ما الدنيا إلاَّ تبعٌ لمتاعي.

وسألَه عمر عن سيرته في قومه وعن الفيء فأخبره، فحَمِد فِعلَه فيهم ثم قال: جدِّدوا لعُمَير عهداً.

قال عُمير: إن ذلك شيء لا أعملُه لك ولا لأحدٍ بعدَك، والله ما سَلِمتُ، قال عمر: وما ذاك؟

---

[1]() الإداوَة: المَطْهَرة، وعاء للماء.

[2]() العنَزة: العصا كالعكازة.

قال: لقد قلتُ لنصراني: (أخزاك الله)، فهذا ما عرَّضتَني له يا عمر، وإنَّ أشقى أيامي يوم خُلِّفْتُ معك.

لقد عَظُمَ على عُمَير -أيها الإخوة- قولُه لرجلٍ مِن غيرِ المسلمين: (أخزاك الله)، وما ذَكَرَ خطأً اقترفَه في ولايته على حمص أعظَمَ من هذا.

أيها الإخوة:

الدارس للشريعة الإسلامية يقرأ في أصولها وفروعِها أموراً ثلاثة تنظّم أحوالَ غير المسلمين في المجتمع المسلم: **أوَّلها:** ضَمان حقُوقِهم.

وثانيها: حِفظُ دمائِهم وأموالهم وأعراضهم.

والثالث: الإحسان إليهم ترغيباً لهم في الإسلام.

وهذه الثلاثة هي مادة خطبة اليوم.

- **أولاً: ضمان حقوقهم:**

ضَمِن الإسلام لغير المسلمين في المجتمع المسلم حقَّ الحرية، حُرِّيَّة المعتقَد وحُرِّيَّة ممارسة شعائر دينهم وحُرِّيَّة التَّنقُّل، وكَفِلَ لهم حقَّ التعلُّم والتملُّك والعمل والكَسب وغيرها من الحقوق.

فلا إكراه لأحدٍ في الإسلام على اعتناق الدين، بل الدعوة بالإقناع والترغيب والتحبيب ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:125]، ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99]، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:256]، والقاعدة العامة في هذا الأمر ماروي عن سيدنا علي رضي الله عنه: (نتركهم وما يدينون).

جاء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ليهود المدينة: «**لليهود دينُهم وللمسلمين دينهم**» [سيرة ابن هشام]، وفي رسالته صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه في اليمن: «**ولايُفتتن يهودي عن يهوديته**» [البيهقي في سننه]، أي: لايُؤذى لأجلِ أن يُبدِّل دينَه.

وفي خطبة أبي بكر رضي الله عنه للجيش الإسلامي: (وسوف تمرُّون بأقوامٍ قد فرَّغُوا أنفسَهم في الصوامع، فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له).

وفي عهد عمر رضي الله عنه لأهل القدس: (هذا ما أعطى عبدُ الله عمرُ أميرُ المؤمنين أهلَ إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصُلبانهم، سقيمِها وبريئِها وسائر ملَّتها؛ أنه لا تُسكَن كنائسُهم ولا تُهدَم، ولا يُنتَقَص منها ولا من حيّزِها، ولا مِن صليبهم، ولا مِن شيء مِن أموالهم، ولا يُكرَهُون على دينهم، ولا يضارَّ أحدٌ منهم).

وما أماكن عبادة غير المسلمين من كنائس ومعابد وأديرة نراها اليوم منتشرة في كل مكان من بقاع العالم الإسلامي إلَّا شواهد ناطقات بِحُرِّيَّة الاعتقاد التي جاء بها الإسلام وضَمِنَها لغير المسلمين في المجتمع المسلم.

يقول توماس آرنولد: "لم نسمع عن أيَّة محاولة مدبَّرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظَّم قُصِدَ منه استئصال الدِّين المسيحي".

كتب بطريرك بيت المقدس في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب المسلمين كما نقلت المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب": (إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتَّة، وهم لا يستخدمون معنا أيَّ عنف".

وفي الحديث عن حقِّ التعلُّم والعمَل لغير المسلمين في المجتمع المسلم فقد وضع هارون الرشيد جميع المدارس في بغداد تحتَ إشراف يوحنا بن ماسويه، وأنَّ حنين بن إسحاق النصراني كان من المقرَّبين للخليفة المتوكّل العباسي، يترجم له الكتب فيعطيه وزنها ذهباً، وأنَّ البابا سلفستر الثاني دَرَس في جامع قرطبة في الأندلس، ويَذكُر الجاحظ في إحدى رسائله المهَنَ المهمَّة التي عمل بها غير المسلمين في المجتمع المسلم يأخذون منها حقَّهم وحظَّهم قال: (إن منهم كتَّاب السلاطين، وفرَّاشِيّ الملوك، وأطباءَ الأشراف، والعطَّارين والصيارفة)، بل إنهم ترقَّوا في وظائف الدولة المسلمة ليحظوا حيناً بالوزارة، وحيناً برئاسة الوزارة، وما ذِكْرُ فارس بيك الخوري عنَّا ببعيد، ومن النوادر التي ساقَها ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" أن الشاعر الحسن بن بشر الدمشقي اشتكى ظلمَ بعض الموظَّفين المسيحيين في الدولة الإسلامية وهم (يعقوب والعزيز وفضل)، فأنشد ساخراً من تلك الحالة:

تنصّر، فالتنصّر دين حقٍّ عليه زماننا هذا يدلّ

وقل بثلاثةٍ عَزّوا وجَلّوا وعطّل ما سواهم فهو عُطل

فيعقوب الوزير أبٌ، وهذا العزيز ابنٌ، وروح القدس فضل

كل ماسبق -أيها الإخوة- يأتي في سياق ضمان الإسلام حقوقَ غير المسلمين في المجتمع المسلم.

- **ثانياً: حِفظُ الأنفس والأموال والأعراض:**

أوجب الإسلام على المجتمع المسلم أن يؤمّن لكل أفراده -مسلمهم وغير المسلم منهم- الحمايةَ الكاملة لأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، قال ابن حزم رحمه الله: (إنّ مَن كان في الذّمّة، وجاء أهلُ الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجَبَ علينا أن نخرُجَ لقتالهم بالكراع والسِّلاح، ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمَّة الله تعالى وذمَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنَّ تسليمَه دون ذلك إهمالٌ لعقد الذّمّة). وحُكِيَ في ذلك إجماعُ الأمّة.

وكَحِفظ أنفسِهم حفظُ أموالهم وأعراضهم:

جاء في كتاب "الفروق" للقرافي: (من اعتدى على أهل الذِّمَّة ولو بكلمةِ سوء أو غيبة في عِرْضِ أحدِهم أو نوعٍ من أنواعِ الأذيَّة أو أعان على ذلك فقد ضيَّع ذمَّة الله تعالى وذمَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذمَّة دين الإسلام).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من آذى ذميًّا فأنا خصمُه، ومَن كنتُ خصمَه خصمتُه يوم القيامة**» [رواه الخطيب].

جاء في "الدُّرِّ المختار": (يجب كفُّ الأذى عنه -أي عن المواطن غير المسلم في المجتمع المسلم-، وتحرم غيبته كالمسلم).

كتب الإمام أبو يوسف -صاحب الإمام أبي حنيفة- للخليفة هارون الرشيد رحمه الله يوصيه بتفقُّد أحوال المواطنين غير المسلمين: (وقد ينبغي يا أمير المؤمنين أيَّدكَ الله أن تتقدَّم في الرِّفق بأهل ذمة نبيِّك وابن عمِّك صلى الله عليه وسلم، والتقدُّم لهم حتى لايُظلَموا ولايُؤذَوا ولايُكلَّفوا من الأعمال فوق طاقتهم ولا يؤخَذ شيءٌ من أموالهم إلا بحقٍّ يجب عليهم).

بل إن الإسلام أوجَبَ على المجتمع الإسلامي كفالة المواطن غير المسلم إن هو افتقر أو مرض أو احتاج ولم يسدّ أهلُ دينِه حاجتَه، وهذا مما أجمَعَت عليه الأمة.

كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه في عقد الذِّمَّة لأهل الحيرة بالعراق –وكانوا من النصارى–: (وجعلتُ لهم: أيّما شيخٍ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهلُ دينه يتصدَّقون عليه طُرِحَت جزيتُه وعيلَ من بيت مال المسلمين هو وعياله).

كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى عدي بن أرطأة: (وانظر مَن قِبَلَكَ مِن أهل الذمة قد كبُرت سنُّه وضعُفت قوته وولَّت عنه المكاسب، فأجْرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يُصلِحه).

– **ثالثاً: الإحسان لغير المسلمين في المجتمع المسلم تحبيباً لهم بالإسلام وأهله، وترغيباً لهم في دخوله:**

وهذا أمر أكبر من أن يُوصَف وأوسَع من أن يُختَصَر في هذا المقام، وحسبنا –أيها الإخوة– أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يزور جيرانه من غير المسلمين في مكَّة والمدينة ويُكرمهم، ويَعود مرضاهم ويَقبل هداياهم ويُثيبهم عليها ويدعو لهم بالهداية.

وحسبنا –أيها الإخوة– ما أورده البلاذري في كتابه "فتوح البلدان" قال: (كتب النصارى في الشام سنة ثلاث عشرة للهجرة إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يقولون: يا معشر المسلمين، أنتم أحبُّ إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكفّ عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا).

أيها الإخوة:

هذا حالُ غير المسلمين في المجتمع المسلم، ضمانٌ للحقوق وحِفظٌ للحرمات وإحسان، ألا فقولوا لكلِّ من ينفُخ في أتون الأقلّيات: أَشِح بريحك الخبيث عنَّا، فقد أراحنا الإسلام منك ومن أشياعك، وقولوا لكل من يعتدي على امرءٍ مسلم أو غير مسلم في هذه البلدة وفي سواها من بلاد الدنيا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم:42]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

والحمد لله رب العالمين